ليس تقديماً

الأستاذ الدكتور
نادي ساري الديك
تتهاوي الأنجم من سمائكم أيها العرب الفلسطينيون الشرفاء، نجمٌ يتبع نجماً ساطعاً كي تتشكل جزرٌ من نجوم يُقتدى بضيائها،حتى الوصول الى حقيقة يوم يُفتقد فيه البدر كي لا تسود الليالي الحالكات،
والديجور يسدل بهواجسه على الأرواح والأجساد. فها هو القمر الدمشقي البغدادي اليافي يتدلّى وروحه عالقة في مكانها في جنائن الرحمن، ينير لنا هواجسنا رغم ما يعتم في النفوس من آهاتٍ وويلات. فسيّدة الأكوان تذخر ذاكرتها بمسميات لقادة شقّوا غبارَ الفلا، وهم يقتحمون منابت العز فيها والثبات.
فمنذ أن بعث الله عباداً له أُولي بأسٍ شديد لتحريرها من دنس الفسق والضغينة وقبل ذلك وبعده، وسيدة الأكوان لم تزل تزخر ذاكرتها بقيمٍ تعجّ بالإنسانية والثبات. فأرض الديانات لها ما يربطها بغيرها من نظم الحياة، فهي محط أنظار العبّاد والفجّار والتجّار، وهي نقطة التلاقي للعموم ورفع الظلم والضغينة عن العباد، فمرةً يجوسها العراقيون، ومرة يعتمرُ بها المصريون،

والفرس والإغريق والرومان لهم في أرضها
حكاياوحكايات تحتفظ بها ذاكرة الأنسان. وكان شعب
سيدة الكائنات معطاءً، تزخر سجلاتهم بالتضحية
والفداء، والشهداء يتقاطرون لنصرة سيدة البسلاء،
فتروي دماؤهم حبيبات التراب، كي تشكل القوس
القزحي الأرجواني يظلل الأجساد. كما تشمُّ عبيرَ
أرواح الصاعدين إلى السماء،لأن الدم العربى سخيٌّ
لفدية سيدة الأكوان، فهى التوءم لأرض الحرم، وكعبة
الرحمن، و مسرى سيد الأنبياء، وفيها عاش إبراهيم و
تربى على أرضها زكريا والمسيح والقديسة مريم
العذراء، ومن خاصرة البشارة بزغ نور السماء وجاء
القديسون من بلاد فارس يبشرون بميلاد عيسى الذي
عمّده يحيى المعمدان، بماء لم يزل يجري بدمنا نحن
.، المؤمنين
وتستمر الحياة على هواجس سيدة الأكوان، وتتداعى
عليها الأمم كما تتداعى عليها النفوس المحرومة على
قصعة الطعام، إلى أن جاء الفاروق وتسلم مفاتيحها من
رجل يؤمن بالمسيح والسلام، وصلى لربه صلاة الشكر
خارج أسوارٍ كنيسة قيامة المحبة والسلام. وغدت زهرة
المدائن منارةً يؤمّها المؤمنون من كل حدبٍ وصوب،
وشارات قبور الصحابة تؤكد على أهميتها ومكانتها في

نفوس المؤمنين والعقلاء. والنجوم تتساقط تضيء جنبات الأرض، وقرائن العلاقة مع الذات ،وأوروبا تشعل فتائل الحرب،والصليب مطية بريئة من دوفع الخلاص، ويأتي الفرج على أيدي الأبطال المحبين للأرض والفداء، وصلاح الدين يقود جيشاً عربياً مسلحاً بجبال الشوق ومحبة التراب، حتى تُوحّد أهل الكنانة والشام، فكان نصر حطين علامة فارقة في تاريخ الشعوب، ونصرة لسيدة الأكوان، وتستمر عملية الحياة، وتعود أوروبا محتلة لنسمات أرضنا تعمل على تدمير بني الإنسان. وكان وعد بلفور المشؤوم حتى يظهر في الوجود كيان هجين لا صلة له بالمكان كارهاً للزمان عبر الانسان، وشُردت النفوس من أوطانها، ويحيى يلهو في حارات بيت دجن، ويافا تخيط له ثوب الطفولة والحنان.
ويتساقط شهداء النخوة يتصاعدون الى قمم السماء، فاختلطت الدماء بألوان الطيف، فلم يُفرّق المقاتلون في المسميات، فمن أحبها سيقتل وإن اختلف الروايات، فصرنا نودّع عمالقة بأفكارهم وقيمهم من الثوار والكتاب والمبدعين والشعراء. فارتفع إلى السماء قادة الفردان، كمال ناصر وأبو يوسف والعدوان، وارتقى بعدهم ماجد أبو شرار ومعين بسيسو يقعقع بحروفه يجلجل في المكان، ويوسف الخطيب ينسج عباءة الشعر ليظلل

نسمات البرتقال، ويحيى ينمو بفكره (فهو صخر) والصخر لا يلين إلا بالحق ومع الحق، ويشبّ فكره العروبي ويخطو خطوات الفتح ويعانق الأشبال، في دبين، والكرامة، وعين الحلوة، وتل الزعتر عنوان الخلود، ويدافع عن الثوابت التي آمن بها وتربى عليها. وتتعدد عطاءاته وتنمو قيمه لتدافع عن عروبة المكان والزمان، فتجده يخوض غمار الوغى في أيلول والأحراش وقلعة الصمود، قلعة الشقيف، (فتح لاند) ، التي جعلت القدر يتمادى في غيّه ويحطم قيم الإنسانية عندما تم حرق من فيها من حياة وأحياء بالنابالم،بأمر من أحد مجرمي الحرب (رئيس وزراء حرب العدو ، بيغن) وطرابلس، والبداوي، ومواقع النزال المرير، تجعل منه الإنسان والمفكر والقائد العنيد، فهو صخر والصخر قد تتفجر منه ينابيع المياه، لذا تفجرت منه الأفكار العروبية الناظمة الوسطية بين القيم وثقافة البنادق وشريعة المجهول، فكان قِبلَة كثير من الناس، يستمعون له بأدب وتقدير واحترام، وكان شاعراً محباً للشعر، قلبه قلب صبي يعامل الناس باحترام ووئام، لا يتعالى على أحد، فهو الصبي المشرد والمحروم من أبسط مقومات العيش، وهو الشاب المكافح الذي يبحث عن سر الحياة، وهو الكهل الخلوق المحب لأبناء أمته والعاشق لسيدة

الكائنات، الرافض لمدريد ومعطيات أوسلو والنهج السيّء عند بعض أصحاب الكروش، ولكنه يعود إلى وطن أحبّ فيه مايحبه الإنسان السوي، وهو المتهكم على مدريد وأوسلو التي أوصلت الناس إلى ماهم عليه. حتى إنه يرى المتحاورين في مدريد كالرّاقصين بلا رؤوس، وعلى الرغم من مذلة الحدود والبقاء في قاعات الإنتظار لأيام طوال، يعود صخر إلى وطن مسلوب الإرادة، والأداة، ويقول (لكنه وطني) لذا عدت مهما غلت التضحيات، فعلى الرغم من معارضته لمدريد وأوسلو إلا أنه تولى ترتيب أسماء الباحثين عن العودة إلى الديار للخلاص من تبعات التشرد والحرمان من الأوطان. فهو عربي في فكره، مؤمن في عمله، مخلص لفكره الفتحاوي، يقدر صديقه ياسر عرفات ويسدل عليه قدسية خاصة، ويبرّؤه من العيوب على الرغم من المآخذ الذي يعددها عليه. وهو محب للشهداء والجرحى، وفيٌّ للعاملين معه، يعشق أسرته وينظر إلى زاهرته بعين الشوق والعشق الوفير. واحمد ولده يجسد ذكرى المهندس الشهيد، وبِكره نزار يجسد صديق الطفولة عاشق شقائق النعمان الذي قتلته طائرات الغدر في ملاعب الصبا ومواطن الأنجال، وكمال يجسد شهداء الفردان ونوار في شَعرها أنشودة الكنار. وتراه محباً

لأسرته الأوسع فيقدر أشقاءه والشقيقات، وكانت زينب الشاعرة بمثابة جسر التعارف بيننا حيث كان ديوان السيوف علامة للتلاقي، وحب العراق و بغداد تكتسي بحلل العروبة حتى اكتمال اليقين ،كل ذلك جعل الشاعر صخريتفاعل مع نصّة ، فبغداد، عشتارنا هاجسنا الكحلي، وهي العشق المتجدد في الوجدان، مدينة تعلم العشق للآخرين، لذا جاء دور الهجرة والإنبعاث، وحواريات الأدب والشعر والتحلل من هموم السياسة إلى حين ، فغدا الصخر، مفتوح الصدر أمامي، والعقل والوجدان، لم يترك شيئاً في صباه والكهولةِ والشباب، إلا تلسن به مبتسماً، مشيراً إلى حذف هذه الذكرى وتثبيت تلك، وهاجسي يحترم طروحاته لكني أدون مايخدم فكرتي دون رياء، فكان المد الجنوني لآلة القهر الصهيوني والعدوان، وتم تدمير بني الإنسان، وقامات المدن هتكتها قنابل الجنون والحقد الدفينين، وحوارات الأربعاء تسهم في خلق التفاعل مع المحيط، والصمود في مقرّه الجديد، ووقوعه في الأسر، جعلني أدون مايقرأه الناس الآن، لذا لم تمهله عين المنون، فكان مرضه وتوديع صديقه ياسر عرفات ودفن كثيراً من الرفاق والأصحاب، وتراه يبكي أبا علي مصطفى كما يبكي غيره من الشهداء، ماجعل

نزيف الدماغ يلازم مسعاه حتى وافاه أجل الله، فتكون سيدة الأكوان قد فقدت نجماً وسيماً في فكره ومسعاه ، ليصعد إلى روح السماء يصاحب عبق التراب، ويرفل نجمه بالسؤدد وشقائق النعمان، وعشق النخيل، وبغداد، ومباسم الزيتون في البطاح ، وقدّاح البرتقال، ويافا تخيط له ثوب الزفاف كما البحر يعانق يافا منذ الأزل حتى أزل الباقيات. ففي رحابها يكون مجدك وفي السماء السابعة يكون أمل اللقاء. والبحر يبقى شاهداً والنيل والفرات وبردى وقاسيون وابن عربي والجزائري والخطابي ونسائم الأوطان ،كي يبقى يحيى يعيش في الوجدان، وتسمو الإنسانية أيها الإنسان
الإنسان ؟؟؟؟؟؟

الأستاذ الدكتور
نادي ساري الديك
رام الله – فلسطين
في يوم فلسطيني نسعى فيه ،الى تجسيد انسانية الأنسان ...؟